القلوب ومرجعه الى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل ، أو نقول مرجعها الى التخلية والتحلية فيجب
الواعظ عيوب البصر وعيوب القلب وعيوب الروح وعيوب السر فيشهد كل واحد من عيوبه بلغة تشهد الجميع فتحلى
بصفات الصالحين حالا فحالا بالإيقان والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة وتحلى بالحلم والرأفة والشفقة والصبر
والإيثار وسائر الأخلاق الحسنة بشعاع العلم الذي تنتبه بشعاع الصدر وهو نتيجة الخشية ونتيجة الرضى والتسليم
وطمأنينة الإيمان ، ومواجيد العرفان ، وينقشع عن ذلك محاسبة النفس ومحبتها والحياء منه والسكون والطمأنينة
وغير ذلك مما تقدم من الأخلاق الحسنة والفتاح الذي يفتح مغاليق القلب هو التعقل وسبب الغفلة هو الرين
عن النفس وسبب الرين النفس وموجب الدنيا التي هو أصل كل خطيئة وموجب الدنيا ينشؤ الحسد
والكبر والحقد والغضب والشح والبخل وموجب الرياسة والفساد والبطالة والغلو وغيرها من العيوب
فإذا انقشعت هذه الأمور عن القلب انبعث فيه شعاع العلم الذي هو نتيجة الخشية ونتيجة الرضى وما تقدم
ذكره لأن العلم بالله نور يقذفه في القلب وينبعث منه شعاع تنبه بشعاع الصدر وينتقشه الزهد في الدنيا فإذا
زهد في الدنيا اتسع صدره بالتفكير والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن وكشف القناع مفتوح على التحلية
ولو قال هو الذي يكشف به عن القلب قناعه وينبعث بشعاع الصدر شعاعه ويجتمعان ليريحه بالتسلي
الشعاع في الصدر وفور الإسلام والإيمان وهو أنوار التوجه ويكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس
وظلمة الكون فتنبعث أنوار المواجهة وهي أنوار الإحسان ، وأسرار العرفان ، وعلى هذا يكون ترتيب كلام
الشيخ حسنا وانه تعالى أعلم والحاصل أن العلم الذي يوجب الخشية هو العلم النافع وغيره ليس بنافع
وإليه أشار بقوله حتى يعلم ما كانت الخشية معه بأن لم تكن خشية جلا حتى يعلم لأنه حجة على صاحبه وإليه أشار
بقوله العلم فإن تبعته الخشية بلك والا فعليك قلت العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه
من الغفلة وأسبابها ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به ويرغبه في ما يقربه إلى ربه ويكون عونا له على الوصول
الرفيع إلى الله والفوز من ساحة رضاه بأن لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه لأنه حينئذ حجة عليه لأن المعصية
مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للجاهل مرة وويل للعالم
إذا لم يعمل عشر مرات ذكره الغزالي ومثله قول الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه في دعائه الشهير بالويل لمن لم يرحمني
بل الويل الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بالقضاء منك بأن قلت فقد ورد في بعض الأحاديث أن الله يغفر للعالم
أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل ذنبا واحدا قلت قد يجاب بأن الحديث الأول ورد فيمن مات مصرا
من العالم والجاهل فإن عذاب العالم أشد لأنه قد ورد أنه يجيء قصبه في النار ويدور بها كما يدور الحمار بالرحى في جهنم فكان الجاهل

لم يرد فيه هذا والحديث الثاني فيمن تخلف توبته منهما فإن العالم فيه مصباح العلم يهتدي به ما دام أحشى
من الجاهل إذا تاب فقد يجيء العالم المخلط بشهوته لا يجيء الجاهل بسنة أو أكثر والحاصل أن الواقع العالم
والجاهل إذا ماتا مصرين والشافي فيهما إذا تابا واصلحا وانه تعالى أعلم وقال الشيخ أبو العباس الشاذلي العلم والحال
والدراهم شاء الله تبعك بها وإن شاء ذهب بها وقال في لطائفه المنن وشاهد العلم الذي هو مطلوب الله
تعلم من عبادة الخشية له وشاهد الخشية هو أفضل الأمر ما علم تبعه الرغبة في الدنيا والتعلق بها ريا بها
وهي الهمة لا تنفسا بها والجمع والادخار والمباهات والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فهما أربعة من
هذا علمه من يكون من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان
بها عند المورث ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تفنى
نفسها جعل الله العلم إذا علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا في تنشيه العقوبة له فقال الشيخ زروق رضي
الله عنه وفيه إشعار بأن العالم غير المتقي ليس بوارث وفيه تنبيه بأن أجساد الموروث والعمل به غير حوالي يخرج
من غيب الوارث وإنما والعقوبة لا ينبغي النسب لأن يقال فيه وارث سوء وقد أثبت الله العلم لمن يخشاه وما نفاه عمن
لم يخشه قلت وقد يقال الموروث عن الأنبياء هو غاية العلم وثمرته وهي الخشية والصحبة تبعا لمجيء
الرسوم لأن ذلك واسطة بإذن الله يصل الموسوم مجاعية بالواسطة بإذن الله الأوراثة العلم الرسوم إذ ليست مقصودة
بالذات وقد كان الشيخ أبو الحسن الشبيلي رضي الله عنه يقول علماء وقته أنفسهم معلمون يعني أنهم مختزنون
بخزينة العلم فهو صناع وليسوا علماء والله تعالى أعلم وقد أطال الشيخ أبو عبد الله في هذا الموضع عليك الله
مراد تخليص نفسه من حجة العلم بالله التوبيخ ومن علامة العلم النافع عند بعلم الله والاتقاء بتخزينه
وثمرة الفناء عدم المبالات بذم الناس ومدحهم وإقبالهم وإدبارهم وإنقاذه بعلم الله وتخزينه كما أبان ذلك بقوله
متى أمكن عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا ينفعك علمه
فصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم قلت إذا سلك الله عليك
خلقه يختبرك هل أنت غني به أو مخلص جلاء مراعاته أو اشتغلوا بذمك وشتمك ثم توجعت من ذلك
فارجع إلى علم الله فيك وأخلاقه عليك إذ لا يخفى عليه شيء من أمرك فإن تجاوز ذلك وقنعت به وأنسيت
بذكره أو شهوته أو استغنيت عنك بمدحهم وإقبالهم وإدبارهم ريا أثرت إدبارهم فيه
راضيك وتهيج قلبك مع ربك إن لم تقنع بعلم الله ولم تكتف بنظره وتلاشيت على إدبارهم أو تألمت من
إذاهم فمصيبتك بضعف إيمانك وذهاب يقينك أشد من مصيبة ذم الناس وإدبارهم عنك لأن هذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)